دولة الإمـــــارات العربية المتحدة
جامعــــة الشـــــارقة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

وقفات مع مناهج التفسير الموضوعي نقد وتأصيل

بحث من إعداد
الدكتور
توفيق علي علي زبادي
عضو هيئة التدريس بالمركز العلمي الأول
لتعليم الكتاب والسنة بجدة
تحت إشراف جامعة أم القرى بمكة المكرمة
ومعهد الإمام الشاطبي بجدة
مقدَّم لمؤتمر التفسير الموضوعي واقع وآفاق
المحور الثاني
المناهج الموجودة في التفسير الموضوعي نقد وتأصيل
1431 هـ - 2010 م

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، ثم أما بعد.

فقد تأملتُ في كتبِ التفسيرِ الموضوعي ورجعتُ إلى ما كُتِبَ عَنْ طَرَائِقِهَ وَمَنَاهِجِهِ ، كَمَا تدبَّرْتُ في مقاصِدِ القرآنِ ومَعَالِمِه ، وَأَجلْتُ النظرَ في واقِعِنَا المُعَاصِرِ ، وما تعانِيهِ أُمَّتُنَا مِنْ أزَمَاتٍ مُتَلاحِقَةٍ ومَا تُوَاجِهُهُ مِنْ فِتَنٍ مُتَعَاقِبَةٍ ، وما تكابِدُهُ من أعداءٍ يمكرون لها ليلَ نهار ، وما تُقَاسِيهِ مِنْ فُرْقَةٍ وَشَتَاتٍ وضعفٍ ، بسبب تفريطِهَا في الانتفاع بالنُّور الذي أنزله الله للناس يهدي به مَن يشاء مِن عباده إلى صراط مستقيم ،كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (1)، فشرح الله صدري أن أشارك في:" **مؤتمر التفسير الموضوعي واقع وآفاق**" ، بوريقات قليلة ، وجهد المُقّل ، مع هذه الثلة المُباركة من أهل التفسير ، الذين كشفوا عن كنز عظيم من كنوز القرآن الكريم ، ألا وهو "**التفسير الموضوعي** " فمنهم من أفاض الله عليه وعرَّف به ، ووجه أنظار المُفسرين إليه ، ومنهم من اقترح خطوات كمدخل له ، ومنهم من وضع منهجاً للسير عليه ، ومنهم من عدد من أنواعه . فنسأل الله لهم الثواب الجزيل من الرب الكريم؛ والقبول الحسن ، والرفعة يوم القيامة في الدرجات العُلى من الجنة ؛ أن كانوا أول من فتح الله على أيديهم هذا العلم الجليل والتفسير العظيم .

ففي هذا البحث المتواضع أوضحت – بعد توفيق الله – تطور مفهوم التفسير الموضوعي من **علم إلى اتجاه إلى منهج** ، واقترحت ضوابط لاختيار الموضوع القرآني ، ومكانة السنة النبوية في التفسير الموضوعي ، ومهمة التفسير بالمأثور في التفسير الموضوعي، وكيف نُرَجِّح بين أقوال السلف ، واقترحت خطوتين يُضافان إلى خطوات التفسير الموضوعي وهما: **الأولى: تحديد النظرية**(2) **القرآنية للموضوع** ، واستنباط الفكرة العامة التي قصد إليها القرآن الكريم في الموضوع القرآني ، أو ما يُعرف بالنظريات الأساسية.

---

[1] سورة الشورى52

[2] النظرية لغة : النظر : تأمل الشيء بالعين ، وتقول : نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب. ويقال : نظر إلى الشيء : أبصره وتأمله بعينه ، وفيه تدبر وفكر ، يقال : نظر في الكتاب ونظر في الأمر ، نظر بين الناس : حكم وفصل بينهم والنظر : تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل أو يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص(انظر : لسان العرب ، مج ٢١٥/٥) ، والمعجم الوسيط(ج931/2). والنظرية اصطلاحاً: تصور عام لقضية أو موضوع في علم من العلوم ، يقوم على أسس ثابتة من الحقائق جزئية أو مطلقة ، وعلى جميع النتائج والأبحاث والتجارب ، وعلى ترتيب النتائج ، حتى يجمع تصور القضية التي يراد ممارستها في الواقع البشري ويبين مداها وخصائصها ؛ ليقوم على هذا التصور النهج والتخطيط ؛ لتنمو النظرية من خلال الجهد البشري والممارسة والتطبيق.(انظر التربية في الإسلام بين النظرية والتطبيق :ص17).

الثانية : تنزيل هذه النظرية على الواقع ، والمقارنة بين نظرية القرآن المعصومة والخالدة ، وبين نظرية البشر التي تُخْطيء وتفنى .

مُقَدِّمَة

الحمد الله الحكيم الحميد الذي أنزل كتابه نوراً يهدي به من يشاء من عباده ، وأفاض بنوره على قلوب وعقول ثُلة من أوليائه اصطفاهم من بين خلقه بفهم وتدبر كتابه والعمل به ، وعزَّموا صادقين على السعي لتطبيقه على واقع الناس كما قال تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1).

فإن هذا البحث هو جُهْدُ مُقِلٍّ أُلْهِمْت فكرته من محاور "**مؤتمر التفسير الموضوعي واقع وآفاق** " المنعقد في جامعة الشارقة – زادها الله إشراقاً بنور كتابه وبركة تطبيقه– وهو بعنوان " **وقفات مع منهج التفسير الموضوعي** " ، منَّ الله عليَّ فيه ببعض المُقترحات والتأصيلات كخُطُواتٍ أساسية ينبغي مراعاتها لمن يطرق باب التفسير الموضوعي أسأل الله أن يتقبله منا قبولاً حسناً.

---

[1] سورة النحل44

الوقفة الأولى : في تعريف التفسير الموضوعي هل هو علم(1) أم اتجاهٌ(2) أم منهجٌ (3)؟

تعريفات :

علم : العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره(4).

وعلم : العلم إدراك الشئ بحقيقته ، والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم **بالعبادات** (5).

الاتجاه : اتَّجَهَ له رأْيٌ أي سَنَحَ ، والجِهَةُ والوِجْهَةُ جميعاً الموضعُ الذي تَتَوَجَّهُ إليه وتقصده ، والوجهةُ والوُجهةُ القِبلةُ وشِبْهها في كل وجهة أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه وتَجَهْتُ إليك أتْجَهُ أي توجهتُ (6).

نهج : طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ وهو النَّهْجُ ، ومَنْهَجُ الطريقِ وضَحُه والمِنهاجُ كالمَنْهَج ، وأنهَجَ الطريقُ وضَحَ واستَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً، والمِنهاجُ الطريقُ الواضِحُ، ونَهَجْتُ الطريقَ أبَنْتُه وأوضَحتُه ، يقال اعْمَلْ على ما نَهَجْتُه لك، والنَّهْجُ الطريقُ المستقيمُ (7).

والتفسير الموضوعي في مراحله شمل هذه المعاني :

- **فالمرحلة الأولى** : مرحلة العلم بالتفسير الموضوعي وتَمْيِّزه عن غيره من أنواع التفسير الأخرى .
- **المرحلة الثانية** : مرحلة تكوين الاتجاه في التفسير الموضوعي وقصده بالبحث والاهتمام.
- **المرحلة الثالثة** : مرحلة المنهج(الوضوح والاستبانة) والعمل على النهج الذي بان واتضح ، ووضع المنهج للسير به .

وهذه المراحل هي المراحل الطبيعية في التَّرَقِّي في أي موضوع يتسم بالجِّدة :

- **التعريف** بالموضوع (العلم) .
- **تكوين** الاتجاه نحو الموضوع(الاتجاه) .
- **تنفيذ** الموضوع(بوضع منهج والسير به).

---

[1] المدخل إلى التفسير الموضوعي : د.عبد الستار فتح الله سعيد ،ص 20. مباحث في التفسير الموضوعي : د.مصطفى مسلم :ص 16.

[2] المدرسة القرآنية : محمد باقر الصدر :ص 16.

[3] التفسير الموضوعي في كفتي الميزان : د.عبد الجليل عبد الرحيم ،ص24.اتجاهات التجديد : د.محمد شريف :ص117 . منهجية البحث في التفسير الموضوعي :د. زياد الدغامين : ص13.

[4] معجم مقاييس اللغة : 1/ 87 .

[5] المفردات: 343.

[6] لسان العرب :13/ 555.

[7] المرجع السابق : 2/ 383.

وهذه المنهجية ننصح بها في تدريس التفسير الموضوعي تدريساً أكاديمياً ووضع منهجاً للتعريف بالتفسير الموضوعي (**علم**) – ومنهج لتكوين الاتجاه نحو التفسير الموضوعي(**اتجاه**) – ومنهج في كيفية تطبيق التفسير الموضوعي(**المنهج**).

مثال تطبيقي على العبادات :

أولاً: الصلاة :

1 – (**مرحلة العلم**) تعليم الناس الصلاة.

2 – (**الاتجاه**) الاتجاه إلى القبلة .

3 – (**المنهج**) إتمام الركوع والسجود والخشوع .(صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِى أُصَلِّى)[1].

ثانياً: الحج :

1 – (**علم**) تعليم الناس الحج .

2 – (**الاتجاه**) قصد مكة المكرمة .

3 – (**المنهج**)(أداء المناسك).(خذوا عني مناسككم)[2].

وملخص الموضوع : أن التفسير الموضوعي تبلور الآن في شكل مناهج تحتاج إلى الاتفاق على منهج واحد يجمع بينها ، يلتزم به الباحثون في التفسير الموضوعي.

الوقفة الثانية: ضوابط تحديد الموضوع القرآني :

أن يكون الموضوع واقعياً (إصلاحياً– علمياً – تربوياً – سلوكياً –تشريعياً – أخلاقياً...) : مثل (الإصلاح في القرآن – السنن الإلهية في دفع الفساد – الجهاد في القرآن – القيم في القرآن – المرأة في القرآن – أهل الكتاب في القرآن – اليهود في القرآن – السنن الإلهية في قيام الأمم وسقوطها في ضوء القرآن – التزكية في القرآن...).

فالمرحلة الأولى في التفسير الموضوعي والتي تسبق العمل :

أولاً : تحديد الموضوعات الواقعية التي لها الأولوية في حياة المسلمين في ضوء الضوابط التالية :

1 – أن يكون لفظ الموضوع قرآنياً صريحاً أو منتزعاً من لفظ قرآني.

2 – أن يكون المسلمون في حاجة ماسة إليه .

3 – أن يكون سهل التطبيق في واقع المسلمين.

---

[1] صحيح ابن حبان : فضل الجماعة ،(2165) ، وقال الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 893 في صحيح الجامع .

[2] صحيح الجامع (7882).

4 - أن ينهض بالمسلمين .

5 - أن يُعالج المشكلات والأمراض التي يُعاني منها المسلمون.

6 - أن يكون القرآن قد تناوله من جوانبه وحقائقه، وتكون آيات القرآن مادة واسعة لموضوعه.

7 - أن يخدم الموضوع مقاصد القرآن الكريم(1).

ثانياً : ترتيب الموضوعات حسب الأولوية في الإصلاح والتربية والدعوة .

بمعنى نبدأ بالموضوعات العقائدية – ثم الموضوعات التي تتعلق بالعبادات، ثم الموضوعات الأخلاقية، ثم الموضوعات التي تتعلق بالمعاملات.

المرحلة الثانية : نشر هذه الموضوعات كموضوعات مقترحة للرسائل العلمية ، والأبحاث المُحَكَمة في الجامعات الأكاديمية ، والمعاهد العلمية ، ومواقع الشبكة العنكبوتية مثل : أهل التفسير ، منتدى البيان لتفسير القرآن ، والمجلات العلمية المُحكمة ، والهيئات العلمية المهتمة بهذا النوع من التفسير كهيئة الإعجاز العلمي .

المرحلة الثالثة : نشر الموضوعات التي تم مناقشتها وإجازتها في مواقع الشبكة العنكبوتية ، والمجلات العلمية المختصة بكل مجال . ويا حبذا لو تم التفاعل بين الجامعات الأكاديمية، ومؤسسات المجتمع المدني ، والهيئات الإسلامية ، لإصلاح واقع المسلمين وفقاً لمنهج القرآن.

الوقفة الثالثة: في منهجية تناول البحث الموضوعي :

1 - مكانة السنة النبوية في التفسير الموضوعي :

هل هي : شارحة ومُبَيِّنة ، أم مُكَمِّلة أم الاثنين معاً ، أم مُنْشِئة لعنصر من عناصر الموضوع القرآني ؟

يحسن بنا أن نذكر كلمة لابن القيم –رحمه الله – عن مكانة السنة مع كتاب الله :

" **السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل :**

المنزلة الأولى : سنة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

المنزلة الثانية : سنة تُفسر الكتاب ، وتبين مراد الله منه ، وتقيد مطلقه .

---

[1] والْمَقَاصِدَ الْأَصْلِيَّةَ الَّتِي جَاءَ الْقُرْآنُ: ثمانية أمور هي : إِصْلَاحُ الِاعْتِقَادِ وَتَعْلِيمُ الْعَقْدِ الصَّحِيحِ، وَهَذَا أَعْظَمُ سَبَبٍ لِإِصْلَاحِ الْخَلْقِ – تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ– التَّشْرِيعُ وَهُوَ الْأَحْكَامُ خَاصَّةً وَعَامَّةً– سِيَاسَةُ الْأُمَّةِ وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ فِي الْقُرْآنِ الْقَصْدُ مِنْهُ صَلَاحُ الْأُمَّةِ وَحِفْظُ نِظَامِهَا– الْقِصَصُ وَأَخْبَارُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ لِلتَّأَسِّي بِصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ–التَّعْلِيمُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَةَ عَصْرِ الْمُخَاطَبِينَ، وَمَا يُؤَهِّلُهُمْ إِلَى تَلَقِّي الشَّرِيعَةِ وَنَشْرِهَا وَذَلِكَ عِلْمُ الشَّرَائِعِ وَعِلْمُ الْأَخْبَارِ–الْمَوَاعِظُ وَالْإِنْذَارُ وَالتَّحْذِيرُ وَالتَّبْشِيرُ– الْإِعْجَازُ بِالْقُرْآنِ لِيَكُونَ آيَةً دَالَّةً عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ.(انظر التفسير والتحرير : 1/40 –41).

المنزلة الثالثة : **سنة متضمنة** لحكم سكت عنه الكتاب ، فتبينه بياناً مبتدأ" ، وقال الإمام أحمد بن حنبل :" السُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْكِتَابَ وَتُبَيِّنُهُ(1).

فالسنة النبوية تشمل : **الإيضاح والتبيين** كما قال تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (2)،وكما قال ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (3) ، وكما ورد في السنة النبوية عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ ؓ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ (4) ، في موضوعات تحتاج إلى الإيضاح والتبيين .

وفي موضوعات تحتاج التكميل.

وليست من وظيفة السنة النبوية في التفسير الموضوعي إنشاء عنصر من عناصر هيكل التفسير الموضوعي.

وفي ذلك الموضوع قال الدكتور الفرماوي –حفظه الله– :" تكميل الموضوع بما ورد في حديث الرسول ﷺ ، إن احتاج الأمر إلى ذلك ، حتى يكمل هيكله ، ويزداد وضوحاً وبياناً (5).

مثال تطبيقي في : مكانة السنة النبوية في تكميل الموضوع القرآني :

البر في القرآن :

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والملائكة وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ والسائلين وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (6).

إذا تحدثنا عن "**البر في القرآن دراسة موضوعية**" فسوف نجد أن القرآن لم يذكر في أصول الإيمان في آية البر (الإيمان بالقضاء والقدر) ، ولم يذكر في أركان الإسلام في آية البر (الصوم والحج) فكيف يُعرض الموضوع مكتملاً ؟

هنا يأتي دور السنة مكملاً : فنذكر مثلاً تحت عنوان (بر العبد في الإيمان): أركان الإيمان التي ذُكِرت في الآيات ثم نكملها بما ذُكِرَ في السنة :

---

[1] الطرق الحكمية : 107.

[2] سورة النحل44

[3] سورة النحل64

[4] مسند أحمد : حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ ،(16546).

[5] البداية في التفسير الموضوعي : ص 62 .

[6] سورة البقرة ، آية 177.

كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :" ...فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ **وَتُؤْمِنَ** بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ (1).

وذكر الإيمان بالقدر فيه فوائد :

- منها اكتمال عرض أصول الإيمان .
- ومنها : ما يقع فيه الناس من اختلاف في الإيمان بالقدر ولهذا كرر "**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** ".

ولماذا لم يُذكر الصوم والحج (أصول العبادات) مع أنهما من أركان الإسلام في آية البر ؟

الجواب : لما كانت السنّة مُكَمِلة للقرآن فقد جاء وصف العبادتين فيها ، وأنهما من أعمال البر، ففي الصيام قال ﷺ :" لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ" (2).

وأما في الحج فقد قال ﷺ : "الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"(3).

وبهذه الطريقة يُعْرض موضوع " البر في القرآن " مكتملاً .

مثال تطبيقي في : السنة شارحة ومُبَيِّنة :

مثال : الظُلم في القرآن دراسة موضوعية :

من معاني الُظلم التي لابد من توضيحها : الظُلم بمعنى الشرك .

كما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (4) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (5).

فوَرَدَ تَفْسِيرُ الظُّلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالشِّرْكِ.

فالصحابة عليهم الرضوان حملوا الظلم في الآية على المعاصي والذنوب، وكانوا يعلمون أنهم غير معصومين منها، ولهذا قالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ يعني أينا لا يذنب ولا يعصي؟ إذن فجميعنا هالكون، لا أمن لنا ولا أمان ولا اطمئنان، ولا نجاة من العذاب.

وهذا يدل على نظرتهم للقرآن وتلقيهم لآياته وتفاعلهم الحي معها، وتطبيقهم لمعانيها والتزامهم بها، وتحرجهم من أي تقصير، وخوفهم من أي ذنب، ورغبتهم العملية في أن يبقوا مع الحق والخير والعمل الصالح.

2 - مهمة التفسير بالمأثور في التفسير الموضوعي :

---

[1] صحيح مسلم : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ،(9).

2 صحيح البخاري ، باب قول النبي ﷺ ليس من البر الصيام في السفر ، رقم(1844).

[3] صحيح البخاري :باب وجوب العمرة وفضلها ،رقم (1650).

[4] سورة الأنعام82.

[5] صحيح البخاري : لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ،(4403). والآية في سورة لقمان 13.

بعد جمع الآيات(1) التي تتعلق بالموضوع القرآني ، يُفسرها الباحث بما صح من التفسير المأثور(2) ، إحياءً له ، وحتى لا يندثر وينتهي بمرور الوقت .

وهنا تساؤل: كيف نتعامل مع اختلاف السلف في تفسير لفظة أو جملة من آية ؟

نتعامل مع المختلف فيه بين السلف :

أولاً : بالنظر إلى الإجماع كإجماع الصحابة ،أو إجماع التابعين أو من بعدهم : قال ابن قدامة :" ويجب على المجتهد في كل مسألة أن ينظر أول شيء إلى الإجماع ، فإن وجده لم يحتج إلى النظر في سواه" (3).

كإجماعهم على تفسير اليقين في قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (4) بأنه الموت كما نقل هذا ابن القيم(5).

أو إجماعهم على تفسير المغضوب عليهم بأنهم اليهود، والضالين بأنهم النصارى في قوله تعالى: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ (6).

وإجماعهم على تفسير القسم في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (7).بحياة الرسول ﷺ قال أبو بكر بن العربي–رحمه الله – ،: قال المفسرون بأجمعهم : " أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له"(8).

وإجماعهم على تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (9)، أنها في أبي بَكْرٍ ؓ . فقد "َ ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ إِجْمَاعَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهَا فِي أَبِي بَكْرٍ –ؓ–"(10).

ثانياً : ما وقع فيه الخلاف بين الصحابة :

واختلاف أقوال الصحابة في التفسير نوعان:

1- **النوع الأول: اختلاف تنوع:** حيث يكون القولان صحيحين في المعنى أو يرجعان إلى معنى واحد، وإنما اختلف القولان – أو الأقوال – لأسباب منها:

---

(1) ويكون الجمع والترتيب على أساس روح القرابة بين النصوص ، والنسيج الفكري الموحَّد الذي يلمها بعضاً إلى بعض، بحيث تبدو في صورة بناء متماسك .

(2) يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول ﷺ وما نقل عن الصحابة ؓ، وما نقل عن التابعين ؓ من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم . (انظر التفسير والمفسرون : د.محمد حسين الذهبي : 1/ 112).

(3) روضة الناظر مع شرحها ،(2/ 456).

(4) سورة الحجر99

(5) انظر التفسير القيم 94

(6) سورة الفاتحة7

(7) سورة الحجر72

(8) فتح القدير :4 / 188 .

(9) سورة الليل21

(10) أضواء البيان : 8/ 553 .

السبب الأول: ذِكر بعض أنواع المسمى وأقسامه: كقولهم في **الطاغوت** : "**إنه الشيطان أو الكاهن أو الصنم وهذا كله صواب ويرجع إلى أصل واحد وهو كل ماعُبِدَ من دون الله".**

السبب الثاني: التعبير عن الاسم الواحد بألفاظ مترادفة " **كالصارم والمهنَّد**" أسماء للسيف .

قال ابن تيمية– رحمه الله :" وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير: تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وأقسامه، كالتمثيلات، هما الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يُظن أنه مختلف" (1).

2ــ **النوع الثاني: اختلاف التضاد:** حيث يتعارض القولان تعارضا حقيقياً لا يمكن معه الجمع أو التوفيق بينهما، ولابد أن يكون أحدهما صواباً والآخر خطأ، وهذا بالنسبة لأقوال الصحابة إذ لابد أن يكون الحق في أحدها لايخرج عنها فإذا تعارضت أقوال الصحابة فلا حجة في أحدها ووجب الترجيح(2) بينها، هذا قول الأئمة الأربعة وجماهير العلماء:

قال ابن عبد البر–رحمه الله :" عن مالك ﷺ أنه قال في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ : مخطيء ومصيب فعليك بالاجتهاد" (3)، وقوله " **فعليك بالاجتهاد**(4)" أي للترجيح بينهما لمعرفة لمعرفة المُخْطئ من المُصيب.

وقال الشافعي –رحمه الله –:" أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ إذا تفرقوا فيها ؟

فقلت: نصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح في القياس" (5).

وقال ابن القيم –رحمه الله – في كلامه عن أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله "الأصل الثالث من أصوله: " إذا اختلف الصحابة تخيَّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم ، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول" (6).

وقال ابن تيمية – رحمه الله– :" وأما أقوال الصحابة: فإن انتشرت ولم تُنكر في زمانهم فهي حجة عند جماهير العلماء ، وإن تنازعوا رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، ولم يكن قول بعضهم حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء" (7).

---

[1] مجموع الفتاوى 13/ 340.

[2] قال العز بن عبد السلام :" فالقاعدة في ذلك أن يُحمَل القرآن على أصح المعاني وأفصح الأقوال ، فلا يُحمَل على معنى ضعيف أو لفظ ركيك (انظر الإشارة في الإيجاز ص220).

[3] جامع بيان العلم 2/ 81

[4] "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ" .البخاري ،(6805).

[5] الرسالة بتحقيق أحمد شاكر، ص 596 ــ 597.

[6] أعلام الموقعين 1/ 31.

[7] مجموع الفتاوى 20/ 14.

وقال ابن تيمية –رحمه الله – أيضاً :" ومن قال من العلماء إن قول الصحابي حجة فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ولا عُرف نصٌ يخالفه ـــ إلى قوله ـــ وأما إذا عرف أنه خالفه فليس بحجة ٍ بالاتفاق" (1).

المثال الأول : الترجيح إذا كان التفسير موافقاً للقرآن :

ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (2).

رأيان :

الأول : عن عكرمة﵁ ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال: الأرواح ترجع إلى الأجساد (3).

الثاني : عن النعمان بن بشير﵁، قال: سُئل عمر بن الخطاب ﵁ عن قول الله ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار .

رجَّحَ الطبري–رحمه الله– الرأي الثاني لموافقته للآيات حيث قال : وأولى التأويلين في ذلك بالصحة، الذي تأوّله عمر بن الخطاب ﵁ للعلة التي اعتلّ بها، وذلك قول الله تعالى ذكره:﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾(4)، وقوله:﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾(5) وذلك لا شكّ الأمثال والأشكال في الخير والشرّ(6).

المثال الثاني : الترجيح إذا كان التفسير موافقاً للسنة :

عن أبي هريرة ﵁ في قوله:﴿ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(7) ، قال: هم الأمراء(8).وعن مجاهد– رحمه الله – قال: هم أولي الفقه والعلم(9). قال أبو جعفر–رحمه الله –: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة، وللمسلمين مصلحة(10) ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ﵄ :أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ(11).

---

[1] مجموع الفتاوى : 1/ 283 ـــ 284.

[2] سورة التكوير7

[3] تفسير الطبري : 24 / 245.

[4] سورة الواقعة 7

[5] سورة الصافات 22

[6] تفسير الطبري : 24 /246.

[7] سورة النساء59.

[8] ذكره الحافظ في الفتح 8: 191 ، وقال: "أخرجه الطبري بإسناد صحيح".

[9] تفسير الطبري : 8/ 500.

[10] المرجع السابق : 8/ 502 .

[11] سنن ابن ماجه : لا طاعة في معصية الخالق ،(2855) : قال الألباني : صحيح الإسناد .

من خلال النقول السابقة يتضح لنا الترجيح في التفسير بالمأثور في حالة **الاختلاف :**

1 -**اختيار ما أجمع عليه الصحابة أو التابعين ومن بعدهم .**

2 -**عند الاختلاف بينهم في التفسير :** نختار ما هو موافقاً للكتاب والسنة ،أو أصح في القياس ، وإذا لم يتبين موافقته للكتاب والسنة ، نذكر الاختلاف دون ترجيح لأحدهما.

الوقفة الرابعة : في منهجية تنزيل التفسير الموضوعي على الواقع- وهو من أهداف التفسير الموضوعي- وتطبيقه عملياً :

فالمنهجية التي تناولت التفسير الموضوعي(وأكملها إلى الآن الخطوات[1] التي طرحها الدكتور صلاح الخالدي – حفظه الله – في كتابه التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق) **يُضاف إليها خطوتين هامتين :**

الأولى: تحديد النظرية القرآنية للموضوع ، واستنباط الفكرة العامة التي قصد إليها القرآن الكريم في الموضوع القرآني ، أو ما يُعرف بالنظريات الأساسية ، وهي الثمرات الحقيقية للتفسير الموضوعي .

الثانية : تنزيل هذه النظرية على الواقع ، والمقارنة بين نظرية القرآن المعصومة والخالدة ، وبين نظرية البشر التي تُخْطيء وتفنى .

وفي هذا المعنى نذكر كلمة جليلة لابن القيم-رحمه الله - :" ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك"[2].

وقال سيد قطب –رحمه الله - :" إن النص القرآني مُعَد للعمل لا في وسط أولئك الذين عاصروا الحادث وشاهدوه فحسب . ولكن كذلك للعمل في كل وسط بعد ذلك وفي كل تاريخ . معد للعمل في النفس البشرية إطلاقاً كلما واجهت مثل ذلك الحادث أو شبهه في الآماد الطويلة ، والبيئات المنوعة . بنفس القوة التي عمل بها في الجماعة الأولى [3] .

وقال الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله -:" والقرآن كتاب لا يستطيع عزله عن الحياة أبداً ، وهل نزل إلا ليُخَطِّئ أو ليُصَوِّب من أفكارها ؟ وإلا ليمحو ويُثْبِت من أحوالها .

إنه كتاب الحياة المفعمة بالحركة المتجددة على الدهر ، ولكنها الحياة القائمة على الحق الدارجة على الصراط المستقيم ، وربما حلا لبعض الفلاسفة والمفكِّرين أن يغلقوا على أنفسهم

---

[1] وهو حفظه الله ذكر خطوات الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، وخطوات الدكتور مصطفى مسلم وأضاف إليهما .

[2] مدارج السالكين : 1/ 343 .

[3] في ظلال القرآن : 6/ 54 .

الأبواب ، ثم يرسلون من نوافذهم نظرات شاردة أو صائبة إلى الأفق البعيد . لكننا نحن المسلمين ما نستطيع إيصاد الأبواب بين كتابنا الأعظم وبين العالم المائج بالخير والشر ، وكيف ؟ ووظيفة كتابنا أن يتوسط الميدان ؛ ليقيم العدالة ويأذن بمرور مواكبها وليقمع الجهالة ، ويحبس زبانيتها في نطاق يرد كيدهم"(1).

الأسباب التي تستدعي تنزيل التفسير الموضوعي(2) على الواقع :

1 – **مراغمة أعداء الله ﷻ ، الذين نصبوا العداء العقدي للمسلمين** بعد أن فَشِلوا في مواجهته عسكرياً ، وهذه درجة الصديقين ، وهي الدرجة الموصلة إلى محبة الله الذي يُحب من عبده مراغمة وإغاظة عدوه ، وكلما كان سلاح المواجهة العقدية قوياً كانت مراغمة العدو وإغاظته قوية وإن ضعفت قوة السلاح ، ضعفت المراغمة والإغاظة ، والتفسير الموضوعي مؤهل لذلك ، ولعل هذا المعنى يستنبط من قوله تعالى ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ (3).

2 – **العودة الحميدة للمسلمين للتمسك بالقرآن ومنهجه في الإصلاح والتربية والدعوة ،** تستدعي تأهيلهم للقيام بتغير ما تركته التربية المجتمعية في نفوسهم من عوامل اليأس والإحباط والانهزامية (تخلية) ، وغرس الأمل ، وإمكانية النهوض مرة أخرى(تحلية) ، ولن يستطيع الدعاة والمصلحون فعل ذلك إلا بالعودة إلى القرآن واتخاذه قائداً ونوراً ، من خلال التفسير الموضوعي ، ولعل هذا المعنى يستنبط من قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (4).

3 – **النتائج الواقعية للتربية القرآنية** والتي استطاعت بفضل الله ﷻ، ثم بجهد المربي الأول ﷺ على إخراج جيل استطاع أن يقود العالم بمنهج الله ، وكانت الفترة التي تتنزل الآيات فيها على الصحابة من أزهى فترات تأثير القرآن في النفس البشرية ، حتى رضي الله عنهم بقيامهم بمهمتهم ، ورضوا عنه بإكرامه لهم في الدنيا بحمل رسالته وتبليغ دعوته ، والسعادة والطمأنينة النفسية ، ورضوا عنه بما وعدهم من الفوز العظيم في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(5).

---

[1] نظرات في القرآن :ص4 .

[2] تنزيل الآيات على الواقع : هو مقابلة الأحداث المُعاصرة للمُفَسِّر بما يشابهها في كتاب الله سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليها الآية. (انظر :تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين :ص 33).

[3] سورة الفرقان52

[4] سورة الرعد11

[5] سورة المائدة119

4 - **تحقيق المقصد الأعلى لنزول القرآن** وهو كما قال الشيخ ابن عاشور – رحمه الله –:" فَكَانَ الْمَقْصِدُ الْأَعْلَى مِنْهُ صَلَاحَ الْأَحْوَالِ الْفَرْدِيَّةِ، وَالْجَمَاعِيَّةِ، وَالْعُمْرَانِيَّةِ، فَالصَّلَاحُ الْفَرْدِيُّ يَعْتَمِدُ تَهْذِيبَ النَّفْسِ وَتَزْكِيَتَهَا، وَرَأْسُ الْأَمْرِ فِيهِ صَلَاحُ الِاعْتِقَادِ لِأَنَّ الِاعْتِقَادَ مَصْدَرُ الْآدَابِ وَالتَّفْكِيرِ، ثُمَّ صَلَاحُ السَّرِيرَةِ الْخَاصَّةِ، وَهِيَ الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ كَالصَّلَاةِ، وَالْبَاطِنَةُ كَالتَّخَلُّقِ بِتَرْكِ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْكِبْرِ. وَأَمَّا الصَّلَاحُ الْجَمَاعِيُّ فَيَحْصُلُ أَوَّلًا مِنَ الصَّلَاحِ الْفَرْدِيِّ إِذِ الْأَفْرَادُ أَجْزَاءُ الْمُجْتَمَعِ، وَلَا يَصْلُحُ الْكُلُّ إِلَّا بِصَلَاحِ أَجْزَائِهِ، وَمِنْ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ ضَبْطُ تَصَرُّفِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ عَلَى وَجْهٍ يَعْصِمُهُمْ مِنْ مُزَاحَمَةِ الشَّهَوَاتِ وَمُوَاثَبَةِ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْمُعَامَلَاتِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدَنِيَّةِ. وَأَمَّا الصَّلَاحُ الْعُمْرَانِيُّ فَهُوَ أَوْسَعُ من ذَلِك إِذا هُوَ حِفْظُ نِظَامِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَضَبْطُ تَصَرُّفِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَقَالِيمِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ عَلَى وَجْهٍ يَحْفَظُ مَصَالِحَ الْجَمِيعِ، وَرَعْيُ الْمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحِفْظُ الْمَصْلَحَةِ الْجَامِعَةِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمَصْلَحَةِ الْقَاصِرَةِ لَهَا، وَيُسَمَّى هَذَا بِعِلْمِ الْعُمْرَانِ وَعِلْمِ الِاجْتِمَاعِ(1).

ومن ضوابط تنزيل الآيات على واقع المسلمين :

1 – سلامة المعتقد ، والتجرد من المذهبية العصبية ، والأهواء السياسية :

" فإن حمل آيات القرآن على عقيدة معينة ، أو مذهب معين هو ولا شك من بدع التفسير "(2).

ومن الأمثلة الفجة في هذا العصر ما يتخذه كثير من الناس من مواقع مختلفة عن طريق هذا التنزيل من الوصول إلى مآرب شخصية ، وحاجات نفسية ، طاوياً حقيقة الآيات عن أعين المسلمين باستشهاداته وتنزيلاته وهم في سبيل ذلك :" يسلطون المحترفين من علماء هذا الدين عليه ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويحلون ما حرم الله ، ويميعون ما شرعه ، ويباركون الفجور والفاحشة ويرفعون عليها رايات الدين وعناوينه ، وهم يزحلقون المخدوعين في الحضارات المادية ، المأخوذين بنظرياتها وأوضاعها ليحاولوا زحلقة الإسلام في التشبه بهذه النظريات وهذه الأوضاع ، ورفع شعاراتها ، أو الاقتباس من نظرياتها وشرائعها ومناهجها! وهم يصورون الإسلام الذي يحكم الحياة حادثاً تاريخياً مضى ولا تمكن إعادته ، ويشيدون بعظمة هذا الماضي ليخدروا مشاعر المسلمين ، ثم ليقولوا لهم – في ظل هذا التخدير – : إن الإسلام اليوم يجب أن يعيش في نفوس أهله

---

[1] تفسير التحرير والتنوير :1/ 38 .

[2] بدع التفسير : 145 .

عقيدة وعبادة ، لا شريعة ونظاماً ، وحسبه وحسبهم ذلك المجد التاريخي القديم! هذا وإلا فإن على هذا الدين أن " يتطور" فيصبح محكوماً بواقع البشر ، يبصم لهم على كل ما يقدمونه له من تصورات وقوانين . وهم يضعون للأوضاع التي يقيمونها في العالم – الذي كان إسلامياً – نظريات تأخذ شكل العقيدة والدين ، لتحل محل ذلك الدين القديم! وينزّلون لها قرآناً يتلى ويدرس ، ليحل محل ذلك القرآن القديم! وهم يحاولون تغيير طبيعة المجتمعات – كما يحاولون تغيير طبيعة هذا الدين – كوسيلة أخيرة ، حتى لا يجد هذا الدين قلوباً تصلح للهداية به؛ فيحولون المجتمعات إلى فتات غارق في وحل الجنس والفاحشة والفجور ، مشغول بلقمة العيش لا يجدها إلا بالكد والعسر والجهد ، كي لا يفيق ، بعد اللقمة والجنس ، ليستمع إلى هدى ، أو يفيء إلى دين!

إنها المعركة الضارية مع هذا الدين والأمة التي تهدي به وتحاول أن تعدل به(1) .

والعاصم من ذلك بعد توفيق الله وجود هيئة عالمية من علماء المسلمين تعتمد الأبحاث التي تناسب الواقع وتقوِّمه ، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﵁ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ (2). وعَنْ ابْنِ عُمَرَ﵁:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ(3).

2 – العلم بأصول التفسير وقواعده :

فضعف تنزيل الآيات على الواقع يرجع إلى ضعف في التكوين الشرعي للباحث :"وأغلب بدع تفاسير المعاصرين منشؤها الجهل بأصول علم التفسير وقواعده (4).

3 – مراعاة المرحلة التي كان فيها المسلمون حين نزول الآيات :

فالفهم النظري للنص القرآني دون إدراك البيئة التي نزل فيها ، وحال المسلمين وقت نزوله يؤدي إلى خطأ في تنزيل النص على الواقع ،لأن" هنالك مسافة شاسعة بين فقه الحركة ، وفقه الأوراق، إن فقه الأوراق يغفل الحركة ومقتضياتها من حسابه ؛ لأنه لا يزاولها ولا يتذوقها ، أما فقه الحركة فيرى هذا الدين وهو يواجه الجاهلية ، خطوة خطوة ، ومرحلة مرحلة ، وموقفاً موقفاً . ويراه وهو يشرع أحكامه في مواجهة الواقع المتحرك ، بحيث تجيء مكافئة لهذا الواقع وحاكمة عليه؛ ومتجددة بتجدده كذلك"(5).

---

[1] في ظلال القرآن :3/ 328 .

[2] سنن ابن ماجه : السواد الأعظم ،(3940).قال الألباني صحيح .

[3] سنن الترمذي : ما جاء في لزوم الجماعة ،(2093). قال الألباني صحيح .

[4] بدع التفسير:8 .

[5] في ظلال القرآن : 4/ 119 .

فإذا تناولنا " **الجهاد في القرآن** " ولم نراع مراحله التي مر بها أصبح تنزلينا للآيات على الواقع تنزيلاً مذموماً .

يقول سيد قطب –رحمه – عمن هذا فهمه :" إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية ، فيجعلون منها نصوصاً نهائية؛ وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة ، فيجعلون منها نصوصاً مطلقة الدلالة؛ حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد عملية دفاع عن أشخاص المسلمين ، وعن دار الإسلام عندما تهاجم "(1).

مثال تطبيقي : لفهم الآيات في ضوء الجو التي نزلت فيه : "الفرح المحمود في القرآن" :

قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (2).

قال أبو سعيد الخدري –ﷺ : فضل الله : القرآن ورحمته : أن جعلكم من أهله ، وقال هلال بن يساف : بالإسلام الذي هداكم إليه وبالقرآن الذي علمكم إياه هو خير مما تجمعون : من الذهب والفضة وكذلك قال : ابن عباس والحسن وقتادة – ﷺ– : فضله : الإسلام ورحمته : القرآن وقالت طائفة من السلف : فضله القرآن ورحمته الإسلام(3) .

جمع ابن القيم –رحمه الله – :بين الآراء ووفّق بينها مستنداً إلى نص قرآني وقال: " **والتحقيق** : أن كلا منهما فيه الوصفان الفضل والرحمة وهما الأمران اللذان امتن الله بهما على رسوله ﷺ فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (4)، والله سبحانه إنما رفع من رفع بالكتاب والإيمان ووضع من وضع بعدمها(5).

وقال الشيخ رشيد رضا–رحمه الله – مراعياً توافق الجو الذي يعيشه المسلمون اليوم ، مع الجو الذي كان يعيشه المسلمون في العهد المكي من الضعف والفقر ، ورأى فيهم بعض صفات مشركي العرب من الإعراض عن الإسلام ، وعدم الفرح به :" أَنَّ الْفَرَحَ بِفَضْلِهِ وَبِرَحْمَتِهِ أَفْضَلُ وَأَنْفَعُ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ وَسَائِرِ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مَعَ فَقْدِهِمَا لَا لِأَنَّهُ سَبَبُ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ ، الْمُفَضَّلَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، كَمَا اشْتُهِرَ فِيمَا خَطَّتْهُ الْأَقْلَامُ وَلَاكَتْهُ الْأَلْسِنَةُ ، بَلْ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ كَمَا حَصَلَ بِالْفِعْلِ إِذْ كَانَتْ هِدَايَةُ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ سَبَبًا لِمَا نَالَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعُصُورِ الْأُولَى مِنَ الْمُلْكِ الْوَاسِعِ ، وَالْمَالِ الْكَثِيرِ ، مَعَ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَالْعَدْلِ

---

[1] في ظلال القرآن : 3/ 435.

[2] سورة يونس58

[3] تفسير الطبري : 15/ 106 .

[4] الشورى : 52

[5] إغاثة اللهفان : ص 31 .

وَالْإِحْسَانِ ، وَالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ ، وَالْعِزِّ الْكَبِيرِ ، فَلَمَّا صَارَ جَمْعُ الْمَالِ وَمَتَاعُ الدُّنْيَا وَفَرَحُ الْبَطَرِ بِهِ هُوَ الْمَقْصُودَ لَهُمْ بِالذَّاتِ ، وَتَرَكُوا هِدَايَةَ الدِّينِ فِي إِنْفَاقِهِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهِ ، ذَهَبَتْ دُنْيَاهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ(1).

إن استحضار الجو العام الذي نزلت فيه الآيات يُعيِّن على تفهم الآراء المأثورة والجمع بينها أو الترجيح بين المختلف منها .

4 – معرفة عُرْف الناس :

فالْفَقِيهُ: هُوَ الْمُقْبِلُ عَلَى شَأْنِهِ الْعَارِفُ بِأَهْلِ زَمَانِهِ. فَالرُّجُوعُ إِلَى الْعُرْفِ فِيمَا يَشُقُّ عَلَى النَّاسِ ، وَمَا لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ ضَرُورِيٌّ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَهُوَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِمُعَاشَرَةِ النَّاسِ وَتَعَرُّفِ شُئُونِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ(2).

يقول الشيخ رشيد رضا –رحمه الله –:" وَلَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْوُقُوفِ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ – لَا سِيَّمَا فِي بِلَادِ مِصْرَ – أَظُنُّ أَنَّ الزِّنَا لَا يَكَادُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا مِنْ بَعْضِ أَفْرَادِ الْجَاهِلِينَ ، وَهَذَا مَا يَعْتَقِدُهُ كُلُّ مَنْ يَنْشَأُ فِي بِيئَةٍ تَغْلِبُ فِيهَا الْعِفَّةُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَ غَيْرِهَا وَلَا أَخْبَارَ الشَّاذِّينَ فِيهَا(3).

5 – الرجوع في فهم الآيات إلى التفسير المأثور :

فالدعوة إلى عدم الالتفات إلى الصحيح من تفسير الرسول والصحابة والتابعين دعوة فاسدة ؛ لأن هؤلاء أعلم بمُرَاد الله ممن جاء بعدهم .

مثال ذلك يقول: أحدهم :" في ضوء الظروف الجديدة ، وتوسع المعرفة الإنسانية ، لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة ، التي اشتملت على كثير من الخرافات ، ولكن ينبغي فهم النص القرآني من خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية (4).

مثال : في التنزيل المذموم للنص القرآني :

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (5).

هذه آية كريمة، اعتمد عليها الكسالى والقاعدون والمقصرون والجبناء في عدم القيام بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واعتبروها تقدم لهم عذراً في القعود، ورخصة في عدم القيام بالواجب، و"فتوى" قرآنية تبرّر لهم ما هم فيه!

---

[1] تفسير المنار : 11/ 334 .

[2] تفسير المنار : 6/ 224 .

[3] المرجع السابق :3 / 123.

[4] مفهوم تجديد الدين : بسطامي محمد سعيد : 123 ، والمقولة لـــ(سيد أحمد خان).

[5] سورة المائدة: الآية105.

فمعنى الآية عند هؤلاء المُحَرِّفين: إنها تجيز لكل مسلم أن يعود إلى نفسه وأن يلزمها بالطاعة والعبادة والذكر. وأن يبتعد هو عن المحرمات والمعاصي.

فإذا فعل هذا فقد أدى الواجب الذي يريده الله منه. ولا يجب عليه –بل غير مطلوب منه– أن يدعو الآخرين إلى الله، وأن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

إن الآية تقول لكل مسلم: عليك نفسك، أصلحها وأبعدها عن المعاصي، ودع غيرك ولا تَدْعُه إلى الله، وهو لا يضرك، ولا يؤثر عليك بضلاله، ألستَ عابداً؟ ألست تاركاً للمعاصي؟ إذن أنت مهتد، ولو لم تخاطب الآخرين.

وقد حدث هذا الفهم في زمن أبي بكر –﵁– : أن أبا بكر﵁ بلغه أن بعض الناس تأول الآية بسقوط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :" أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها ، و إني سمعت رسول الله – ﷺ– يقول :" إن الناس إذا رأوا المنكر و لا يغيرونه ؛ يوشك الله أن يعمهم بعقابه ، وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده "(1).

هكذا صحح الخليفة الأول –﵁– ما ترامى إلى وهم بعض الناس في زمانه من فهم هذه الآية الكريمة .

ونحن اليوم أحوج إلى هذا التصحيح ؛ لأن القيام بتكاليف التغيير للمنكر قد صار أشق ، فما أيسر ما يلجأ الضعاف إلى تأويل هذه الآية على النحو الذي يعفيهم من تعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومشاقه وبلائه .

6 – التعامل مع القرآن الكريم من غير مقرّرات سابقة :

قال الشيخ محمد عبده –رحمه الله :" إذا وزنّا ما فِي أدمغتنا من الاعتقاد بكتاب الله من غير أن نُدخِلها أولاً فيه، يظهر لنا كونُنا مهتدين أو ضالّين، وأمّا إذا أدخلنا ما فِي أدمغتنا فِي القرآن وحشرناها فيه أوَّلاً، فلا يمكننا أن نعرف الهداية من الضلال، لإختلاط الموزون بالميزان فلا يدرى ما هو الموزون به... أريد أن يكون القرآن أصلاً تُحمل عليه المذاهب والآراء فِي الدين، لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يُحمَل عليها، ويُرجع بالتأويل أو التحريف إليها كما جرى عليه المخذولون، وتاه فيه الضالّون»(2) .

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الملاحم ،باب : الأمر و النهي ،(ج2/525) رقم الحديث (4338) قال الشيخ الألباني صحيح.

[2] محمد عبده: تفسير سورة الفاتحة، 54، نقلا عن التفسير والمفسرون فِي العصر الحديث، 307.

وقال سيد قطب :" إن الطريق الأمثل في فهم القرآن–لتنزيله على الواقع – :" أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق ، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة"[1].

7 – **القرآن حاكم وليس بمحكوم عليه :** كما قال تعالى :" ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [2].

أي الحاكم على الكتب بتمييز صحيحها من محرفها [3]، وقيل : الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل ؛ لأن القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام[4] ، فهو حاكم على جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى من قبل، كما قال تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[5].

- وهو حاكم على التاريخ وعلى الواقع وليس العكس فلا يجوز المطابقة بين المطلق الإلهي و النسبي البشري .
- وهو حاكم على اللغة وليست اللغة حاكمة على القرآن .

فلا ينبغي إخضاع القرآن للواقع ؛لأنَّه يعلو ولا يُعلى.

8 – **الجهاد بالقرآن والحركة به :**

قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ [6]. قال ابن عباس–رضي الله عنهما – في تفسير الآية: بالقرآن[7].

إن هذا القرآن لا يفتح كنوزه ، ولا يكشف أسراره ، ولا يعطي ثماره ، إلا لقوم يؤمنون ، "ولا يفقهه إلا من يتحرك به؛ فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه؛ بما يتكشف لهم من أسراره ومعانيه؛ وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به . أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون أن يتلقوا ممن تحركوا ، لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا؛ ولا فقهوا فقههم؛ ولا وصلوا من أسرار هذا الدين إلى ما وصل إليه المتحركون"[8].

إن هذا القرآن لا تنفد عجائبه ، وتتفتح كنوزه لجميع الأجيال ، إذا جاهدوا وتحركوا به .

---

[1] في ظلال القرآن : 7/ 365 .

[2] سورة يس2

[3] تفسير التحرير والتنوير : 6/ 418.

[4] تفسير الخازن :3/ 375.

[5] سورة المائدة48

[6] سورة الفرقان52

[7] تفسير الطبري : 19/ 281 .

[8] في ظلال القرآن : 4/ 108 .

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(1). أي: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، والطريق المستقيمة هي التي يوصل بها إلى رضا الله ﷻ. قال سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور، فإن الله قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (2) .

9 - الإطلاع على ما كُتِبَ في الموضوع القرآني المُراد تنزيله على الواقع قديماً وحديثاً :

قال الشيخ المودودي –رحمه الله– : " إذا أراد الإنسان أن يتبين وجهة نظر القرآن في مسألة من مسائل الحياة فيستحسن له أن يطالع ما كتب فيها قديماً وحديثاً بكل إمعان، ويحدد بوضوح ما لهذه المسألة من نواح أساسية ونقاط رئيسية، ويتعرف كذلك ما هو مبلغ تفكير الإنسان ومدى ما وصل إليه في هذه المسألة عبر التاريخ، وما هي جوانبها التي تتطلب حلولاً، وما هي النقطة التي لم يستطع التفكير الإنساني تخطيها حتى اليوم، وإذا حقق ذلك، فله أن يدرس القرآن واضعاً أمام عينيه الجوانب التي تتطلب الحلول في هذه المسألة ، ومما جربته أن الإنسان إذا درس القرآن باحثاً في مسألة من المسائل على نحو ما ذكرت، فإنه يفاجأ بالردود على أسئلته في آيات قد قرأها عشرات المرات من قبل ولم يخطر بباله أن تلك الآيات تكمن فيها هذه الردود"(3).

---

[1] سورة العنكبوت69

[2] تفسير البغوي : 6 / 256 .

[3] مبادئ أساسية لفهم القرآن : ص 25.

نماذج من المفسرين في تنزيل الآيات على الواقع

أولاً : الإمام ابن تيمية[1] وتنزيل الآيات على الواقع :

عرض الشيخ –رحمه الله – لغزوة الأحزاب ، وربط بينها وبين ما حدث في واقعة دخول التتار في بغداد.

يقول –رحمه الله –:" فَإِذَا قَرَأَ الْإِنْسَانُ " سُورَةَ الْأَحْزَابِ " وَعَرَفَ مِنْ الْمَنْقُولَاتِ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَالْمَغَازِي : كَيْفَ كَانَتْ صِفَةُ الْوَاقِعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ اعْتَبَرَ هَذِهِ الْحَادِثَة بِتِلْكَ : وُجِدَ أَنَّ النَّاسَ انْقَسَمُوا فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ إلَى الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ –الإسلام – الكفر – النفاق ، كَمَا انْقَسَمُوا فِي تِلْكَ . وَتَبَيَّنَ لَهُ كَثِيرٌ مِنْ الْمُتَشَابِهَاتِ[2] .

ثم تناول –رحمه الله – في تنزيله للآيات عدة موضوعات كانت موضع تشابه بين الواقعتين:

1 –مختصر القصة :

"**مُخْتَصَرُ الْقِصَّةِ** : أَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَحَزَّبَ عَلَيْهِمْ عَامَّةُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ وَجَاءُوا بِجُمُوعِهِمْ إلَى الْمَدِينَةِ لِيَسْتَأْصِلُوا الْمُؤْمِنِينَ . فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَحُلَفَاؤُهَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَأَشْجَعَ وَفَزَارَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قَبَائِلِ نَجْدٍ . وَاجْتَمَعَتْ أَيْضًا الْيَهُودُ : مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ . فَإِنَّ بَنِي النَّضِيرِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجْلَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي " سُورَةِ الْحَشْرِ " .

فَجَاءُوا فِي الْأَحْزَابِ إلَى قُرَيْظَةَ وَهُم مُعَاهِدُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمُجَاوِرُونَ لَهُ قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ – فَلَمْ يَزَالُوا بِهِمْ حَتَّى نَقَضَتْ قُرَيْظَةُ الْعَهْدَ وَدَخَلُوا فِي الْأَحْزَابِ . فَاجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأَحْزَابُ الْعَظِيمَةُ وَهُمْ بِقَدْرِ الْمُسْلِمِينَ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ الذُّرِّيَّةَ مِنْ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي آطَامٍ[3] الْمَدِينَةِ وَهِيَ مِثْلُ الجواسق[4] وَلَمْ يَنْقُلْهُمْ إلَى مَوَاضِعَ أُخَرَ . وَجَعَلَ ظَهْرَهُمْ إلَى سَلْعٍ – وَهُوَ الْجَبَلُ الْقَرِيبُ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ وَالشَّامِ – وَجَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ خَنْدَقًا . وَالْعَدُوُّ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ الْعَالِيَةِ وَالسَّافِلَةِ . وَكَانَ عَدُوًّا شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَانَتْ نِكَايَتُهُ فِيهِمْ أَعْظَمَ النِّكَايَاتِ . وَفِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ تَحَزَّبَ هَذَا الْعَدُوُّ مِنْ مُغُولٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ التُّرْكِ وَمِنْ فُرْسٍ وَمُسْتَعْرِبَةٍ وَنَحْوِهِمْ مِنْ أَجْنَاسِ الْمُرْتَدَّةِ وَمِنْ نَصَارَى الْأَرْمَنِ وَغَيْرِهِمْ . وَنَزَلَ هَذَا الْعَدُوُّ بِجَانِبِ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ بَيْنَ الْإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ مَعَ قِلَّةِ مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ .

---

[1] هو شيخ الإسلام وحافظ الدين المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي، ولد بحران يوم الاثنين (661/3/10هــ)، وتوفى –رحمه الله– ليلية الاثنين 20 من ذي القعدة 728هــ. انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (14).

[2] مجموع الفتاوى : 28/ 440 .

[3] آطامٌ :هي حصونٌ لأهل المدينة.انظر (الصحاح في اللغة :1/ 15).

[4] جسق : الجَوْسَقُ الحِصْن وقيل هو شبيه بالحصن معرب وأصله كُوشك بالفارسية.(لسان العرب :2/ 284).

وَمَقْصُودُهُمْ الِاسْتِيلَاءُ عَلَى الدَّارِ وَاصْطِلَامُ[1] أَهْلِهَا . كَمَا نَزَلَ أُولَئِكَ بِنُوَاحِي الْمَدِينَةِ بِإِزَاءِ الْمُسْلِمِينَ[2] .

2 - شدة الريح والبرد وقت الحرب :

"وَكَانَ عَامَ الْخَنْدَقِ بَرْدٌ شَدِيدٌ وَرِيحٌ شَدِيدَةٌ مُنْكِرَةٌ بِهَا صَرَفَ اللَّهُ الْأَحْزَابَ عَنْ الْمَدِينَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [3] . وَهَكَذَا هَذَا الْعَامُ أَكْثَرَ اللَّهُ فِيهِ الثَّلْجَ وَالْمَطَرَ وَالْبَرْدَ عَلَى خِلَافِ أَكْثَرِ الْعَادَاتِ . حَتَّى كَرِهَ أَكْثَرُ النَّاسِ ذَلِكَ . وَكُنَّا نَقُولُ لَهُمْ : لَا تَكْرَهُوا ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ فِيهِ حِكْمَةً وَرَحْمَةً . وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي صَرَفَ اللَّهُ بِهِ الْعَدُوَّ ؛ فَإِنَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِمْ الثَّلْجُ وَالْمَطَرُ وَالْبَرْدُ حَتَّى هَلَكَ مِنْ خَيْلِهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ . وَهَلَكَ أَيْضًا مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ . وَظَهَرَ فِيهِمْ وَفِي بَقِيَّةِ خَيْلِهِمْ مِنْ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ بِسَبَبِ الْبَرْدِ وَالْجُوعِ مَا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ مَعَهُ بِقِتَالِ . حَتَّى بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ كِبَارِ الْمُقَدِّمِينَ فِي أَرْضِ الشَّامِ أَنَّهُ قَالَ : لَا بَيَّضَ اللَّهُ وُجُوهَنَا : أَعَدَوْنَا فِي الثَّلْجِ إلَى شَعَرِهِ وَنَحْنُ قُعُودٌ لَا نَأْخُذُهُمْ ؟ وَحَتَّى عَلِمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا صَيْدًا لِلْمُسْلِمِينَ لَوْ يَصْطَادُونَهُمْ ؛ لَكِنْ فِي تَأْخِيرِ اللَّهِ اصْطِيَادَهُمْ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ"[4] .

3 - محاصرة الأعداء المسلمين من جميع الجهات :

قَالَ اللَّهُ ﷻ فِي شَأْنِ الْأَحْزَابِ : ﴿إذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [5]. وَهَكَذَا هَذَا الْعَامُ . جَاءَ الْعَدُوُّ مِنْ نَاحِيَتِي عُلُوِّ الشَّامِ وَهُوَ شَمَالُ الْفُرَاتِ . وَهُوَ قِبْلِيِّ الْفُرَاتِ . فَزَاغَتْ الْأَبْصَارُ زَيْغًا عَظِيمًا وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ؛ لِعَظْمِ الْبَلَاءِ ؛ لَا سِيَّمَا لَمَّا اسْتَفَاضَ الْخَبَرُ بِانْصِرَافِ الْعَسْكَرِ إلَى مِصْرَ وَتَقَرَّبَ الْعَدُوُّ وَتَوَجَّهَهُ إلَى دِمَشْقَ . وَظَنَّ النَّاسُ بِاَللَّهِ الظَّنُونَا [6].

4 - تخاذل أهل النفاق :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ [7].

"وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَسْكَرَ بِالْمُسْلِمِينَ عِنْدَ سَلْعٍ وَجَعَلَ الْخَنْدَقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ : لَا مُقَامَ لَكُمْ هُنَا ؛ لِكَثْرَةِ الْعَدُوِّ . فَارْجِعُوا إلَى الْمَدِينَةِ . وَقِيلَ : لَا مُقَامَ لَكُمْ عَلَى دِينِ

---

[1] صلم الشيءَ صلما: قطعه من أصله ، والاصطلام الاستئصال .(انظر : لسان العرب ج12/ 340).

[2] مجموع الفتاوى : 28/ 443-444 .

[3] سورة الأحزاب9

[4] مجموع الفتاوى : 28/445.

[5] سورة الأحزاب 10

[6] مجموع الفتاوى : 28/446.

[7] سورة الأحزاب 13

مُحَمَّدٍ فَارْجِعُوا إلَى دِينِ الشِّرْكِ . وَقِيلَ : لَا مُقَامَ لَكُمْ عَلَى الْقِتَالِ فَارْجِعُوا إلَى الِاسْتِئْمَانِ وَالِاسْتِجَارَةِ بِهِمْ . وَهَكَذَا لَمَّا قَدِمَ هَذَا الْعَدُوُّ كَانَ مِنْ الْمُنَافِقِينَ مَنْ قَالَ : مَا بَقِيَتْ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَقُومُ فَيَنْبَغِي الدُّخُولُ فِي دَوْلَةِ التَّتَارِ . وَقَالَ بَعْضُ الْخَاصَّةِ : مَا بَقِيَتْ أَرْضُ الشَّامِ تُسْكَنُ ؛ بَلْ نَنْتَقِلُ عَنْهَا إمَّا إلَى الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَإِمَّا إلَى مِصْرَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ الْمَصْلَحَةُ الِاسْتِسْلَامُ لِهَؤُلَاءِ كَمَا قَدْ اسْتَسْلَمَ لَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَالدُّخُولُ تَحْتَ حُكْمِهِمْ(1) .

5 -اعتذار المنافقين من الخروج للقتال :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (2).

" وكَانَ قَوْمٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْمُومِينَ يَقُولُونَ – وَالنَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ سَلْعٍ دَاخِلُ الْخَنْدَقِ وَالنِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ فِي آطَامِّ الْمَدِينَةِ – : يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ . أَيْ مَكْشُوفَةٌ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ حَائِلٌ . – وَأَصْلُ الْعَوْرَةِ : الْخَالِي الَّذِي يَحْتَاجُ إلَى حِفْظٍ وَسِتْرٍ . يُقَالُ : اعْوَرَّ مَجْلِسُك إذَا ذَهَبَ سِتْرُهُ أَوْ سَقَطَ جِدَارُهُ . وَمِنْهُ عَوْرَةُ الْعَدُوِّ – . وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ : أَيْ ضَائِعَةٌ تُخْشَى عَلَيْهَا السُّرَّاقُ . وَقَالَ قتادة : قَالُوا : بُيُوتُنَا مِمَّا يَلِي الْعَدُوَّ فَلَا نَأْمَنُ عَلَى أَهْلِنَا فائذن لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إلَيْهَا لِحِفْظِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) لِأَنَّ اللَّهَ يَحْفَظُهَا (إنْ يُرِيدُونَ إلَّا فِرَارًا) فَهُمْ يَقْصِدُونَ الْفِرَارَ مِنْ الْجِهَادِ وَيَحْتَجُّونَ بِحُجَّةِ الْعَائِلَةِ . وَهَكَذَا أَصَابَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْغُزَاةِ . صَارُوا يَفِرُّونَ مِنْ الثَّغْرِ إلَى الْمَعَاقِلِ وَالْحُصُونِ وَإِلَى الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ كَمِصْرِ . وَيَقُولُونَ : مَا مَقْصُودُنَا إلَّا حِفْظَ الْعِيَالِ وَمَا يُمْكِنُ إرْسَالُهُمْ مَعَ غَيْرِنَا . وَهُمْ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ . فَقَدْ كَانَ يُمْكِنُهُمْ جَعْلُهُمْ فِي حِصْنِ دِمَشْقَ لَوْ دَنَا الْعَدُوُّ . كَمَا فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(3).

6 -المعاهدة على عدم الفرار :

قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾(4) "

" وَهَذِهِ حَالُ أَقْوَامٍ عَاهَدُوا ثُمَّ نَكَثُوا قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ . فَإِنَّ فِي الْعَامِ الْمَاضِي وَفِي هَذَا الْعَامِ : فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ مَنْ عَاهَدَ عَلَى أَنْ يُقَاتِلَ وَلَا يَفِرَّ ثُمَّ فَرَّ مُنْهَزِمًا لَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ"(5).

انصراف العدو من المعركة :

---

[1] مجموع الفتاوى : 450/28 .
[2] سورة الأحزاب 13
[3] مجموع الفتاوى : 451/28 – 452 .
[4] سورة الأحزاب 15
[5] مجموع الفتاوى : 453/28.

قَالَ تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (1)، فَإِنَّ اللَّهَ صَرَفَ الْأَحْزَابَ عَامَ الْخَنْدَقِ بِمَا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ رِيحِ الصبا : رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ . وَبِمَا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى شَتَّتَ شَمْلَهُمْ وَلَمْ يَنَالُوا خَيْرًا . إذْ كَانَ هَمُّهُمْ فَتْحُ الْمَدِينَةِ وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَعَلَى الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ كَمَا كَانَ هَمَّ هَذَا الْعَدُوُّ فَتْحَ الشَّامِ وَالِاسْتِيلَاءَ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَرَدَّهُمْ اللَّهُ بِغَيْظِهِمْ حَيْثُ أَصَابَهُمْ مِنْ الثَّلْجِ الْعَظِيمِ وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ وَالرِّيحِ الْعَاصِفِ وَالْجُوعِ الْمُزْعِجِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ . وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَكْرَهُ تِلْكَ الثُّلُوجَ وَالْأَمْطَارَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي هَذَا الْعَامِ حَتَّى طَلَبُوا الاستصحاء غَيْرَ مَرَّةٍ . وَكُنَّا نَقُولُ لَهُمْ : هَذَا فِيهِ خَيْرَةٌ عَظِيمَةٌ . وَفِيهِ لِلَّهِ حِكْمَةٌ وَسِرٌّ فَلَا تَكْرَهُوهُ . فَكَانَ مِنْ حِكْمَتِهِ : أَنَّهُ فِيمَا قِيلَ : أَصَابَ قازان(2) وَجُنُودَهُ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ وَهُوَ كَانَ فِيمَا قِيلَ : سَبَبُ رَحِيلِهِمْ . وَابْتُلِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ لِيَتَبَيَّنَ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ مِمَّنْ يَفِرُّ عَنْ طَاعَتِهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ . وَكَانَ مَبْدَأُ رَحِيلِ قازان فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَأَرَاضِي حَلَبَ : يَوْمَ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى يَوْمَ دَخَلَتْ مِصْرَ عَقِيبَ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَتْ بِالسُّلْطَانِ وَأُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الِاهْتِمَامِ بِالْجِهَادِ مَا أَلْقَاهُ . فَلَمَّا ثَبَّتَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ صَرَفَ الْعَدُوَّ جَزَاءً مِنْهُ وَبَيَانًا أَنَّ النِّيَّةَ الْخَالِصَةَ وَالْهِمَّةَ الصَّادِقَةَ يَنْصُرُ اللَّهُ بِهَا وَإِنْ لَمْ يَقَعْ الْفِعْلُ وَإِنْ تَبَاعَدَتْ الدِّيَارُ(3).بهذا الأسلوب نزّل ابن تيمية الآيات على الواقع ، وبيّن قانون إلهي في الأنفس والمجتمعات "**قانون التماثل**" ، أي ما حدث للمؤمنين السابقين يحدث للمؤمنين في العصر الحديث من نصر وتأييد ومعية وحماية إذا هم نهجوا نهج السابقين ، وكذلك ما حدث للكافرين والمنافقين السابقين من خزي وهزيمة ورد لكيدهم يحدث للاحقين إذا هم نهجوا نهج السابقين ، **والمثيل يأخذ حكم مثيله** .

فالنظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من هذه الآيات : قانون التماثل: والذي يعني أن المثيل يأخذ حكم مثيله .

ثانياً : الشيخ رشيد رضا (4):

---

[1] سورة الأحزاب 25

[2] قازان بن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير توزون رحمه الله، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السبح والهياكل مع التتار، توفي في سنة703 هـ.(البداية والنهاية :13/ 401).

[3] مجموع الفتاوى : 28/463.

[4] هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن منلا علي القلموني البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وداعية التجديد والإصلاح وله تفسير اسمه: تفسير القرآن الحكيم، ومشهور باسم (تفسير المنار) وهو غير كامل انتهي مؤلفه إلى الآية (101) من سورة يوسف، ولد سنة 1282هـ توفى 1353هـ (انظر ترجمته في القول المختصر المبين في مناهج المفسرين لمحمد النجدي: 59)، وانظر: الأعلام للزركلي (6/126).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا إنه كان يهدف من تفسير القرآن الكريم إلى تلبية "حاجة الناس التي صارت شديدةً إلى تفسيرٍ تتوجّه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فِي وصفه، وما أنزل لأجله، من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح" (1).

من نماذج تنزيله للآيات على الواقع :

قال الشيخ رشيد رضا في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (2).

" وَأَكْبَرُ وُجُوهِ الْعَبْرَةِ فِيهَا مَا نَرَاهُ مِنْ حَالِ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا اللَّابِسِينَ لِبَاسَ عُلَمَاءِ الدِّينِ ، الَّذِينَ هُمْ أَظْهَرُ مَظَاهِرِ الْمَثَلِ فِي الِانْسِلَاخِ مِنْ آيَاتِ اللهِ ، وَالْإِخْلَادِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَتَفَانِيهِمْ فِي إِرْضَاءِ الْحُكَّامِ ، وَإِنْ كَانُوا مُرْتَدِّينَ ، وَالْعَوَامِ وَإِنْ كَانُوا مُبْتَدِعَةً خُرَافِيِّينَ ، وَهُمْ فِتْنَةٌ لِلنَّابِتَةِ الْعَصْرِيَّةِ تَصُدُّهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلِلْعَوَّامِ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ ، وَمِنْهَا عِبَادَةُ الْقُبُورِ بِدُعَاءِ مَوْتَاهَا فِيمَا لَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَالطَّوَافُ بِهَا وَالنُّذُرُ لَهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ(3).

النظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من الآيات : أن الإخلاد إلى الأرض ، واتباع الأهواء سبب انسلاخ العلماء من آيات الله .

ثالثاً :الشيخ حسن البنا(4) وتنزيل القرآن على الواقع :

في حديثه – رحمه الله – **عن "الكون غير المنظور في القرآن" قال** :عندما نتأمل كتابَ الله تبارك وتعالى نجد أنه قد تحدَّث عن عدة عوالم، هذه العوالم لا تدخل في حدود هذا الكون المادي الذي يمكننا أن ندركَ مكوناتِه بالحواسِّ.. باللمس، أو بالنظر، أو بالذوق، أو بالشم، أو بالسمع، فقد ذكر القرآن الكريم أن هناك عوالمَ أخرى غيرَ هذه العوالم التي نلمسها ونحسها ونراها ونسمعها بهذه الحواس المادية، وتكلَّم كذلك عن الملائكة، فقد جاء فيه ذكر الملائكة وتكلَّم عن الجن، وقد جاء فيه ذكرهم وتكلَّم عن الملأ الأعلى وجاء فيه ذكر الملأ الأعلى فقال

---

[1] محمد رشيد رضا: تفسير المنار، 10/1.

[2] سورة الأعراف176.

[3] تفسير المنار : 9/ 349 .

[4] هو:حسن أحمد عبد الرحمن البنا ،ولد في المحمودية بمحافظة البحيرة –مصر عام 1906م ،في بيت علم وصلاح ، اشتغل والده بعلوم السنة أهمها : الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد"، أنشأ جماعة الإخوان المسلمين في شهر ذي القعدة 1347هـ –مارس 1928م ، أغتيل في أحد شوارع القاهرة يوم 14 ربيع الثاني 1368 هـ – 12 فبراير 1949م.(انظر :مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ،ص5 و ما بعدها).

تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (1) ، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾(2).

ثم يقول –رحمه الله – :" أما سنة القرآن الكريم التي نراها ونلمسها في الكلام عن هذا الكون غير المنظور ، فهو يوجز في تناولها إيجازاً بليغاً ، و لا يتعرض لحقائق أمر هذا الكون ، ولكنه يتعرض فقط لبعض خواصه ، فلم يذكر مثلاً كيف خلق الله الملائكة ، ولم يذكر شيئاً عن أصل الروح ، ولا عن هياكل الملأ الأعلى .

النظرية القرآنية للموضوع والفكرة العامة أو ما يُعرف بالنظريات الأساسية التي استنبطها الشيخ حسن البنا و التي قصد إليها القرآن الكريم في هذا الموضوع :

فائدتان :

الأولى : أنه يجب علينا أن نتأدب بأدب القرآن الكريم ، وأن نقف عند ما جاء به ،فإذا عرضنا لهذه البحوث ، فلا يجوز لنا أن نفرض فيها الفروض ،و لا يجوز لنا أن نترك العقل يسبح فيها :" ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (3).

أما الفائدة الثانية : فهي الحقيقة التي نعرفها من خلال هذا التساؤل : لِمَ لم يتناول القرآن الكريم هذه العوالم تناولاً واسعاً ومفصَّلاً؟

أم الجواب عن هذا التساؤل فهو أن القرآن الكريم جاء للفائدة ، ونحن لا تعود علينا فائدة من هذا ، فنحن البشر نتخاطب بلغتنا ، وبحسب ما نعرف ، وما نفهم ، واللغة عندنا لا تتناول ما يقع في دائرة المتكلمين بها حساً ومعنى ، ولنفرض – يا أخي – أن رجلاً وُلِدَ أكْمه ، ثم سأل عن لون شيء ما ، وقلت له عن لونه ، فماذا يعقل من إجابتك عليه ؟إنك لا يمكن أن تُفْهمه ؛ لأن اللغة هي تصوير المعاني والإحساسات لما يقع في محيط أهلها ، وهذا كما قلنا عنه : هو العالم غير المنظور أي العالم الذي لا يقع تحت حواسنا ، فكيف يُمكن أن تصوِّره لغتنا ؟

ولكن بما أن بيننا وبين هذا العالم شيئاً من الصلة والارتباط ،فقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الصلة ، والذين يُكشف لهم عن شيء من هذا العالم يعرفون بعض نواحيه وما يتصل به ،

---

[1] سورة الحجر: من الآية 29.

[2] سورة الإسراء 85

[3] سورة الإسراء 36.

فقد كانت الملائكة تزور سيدنا عمران بن الحصين حين مرض ؛ وكان يقول : " إن الملائكة تزورني وتصافحني" (1).

أما الذين يعيشون في حدود عالمهم الخاص فليس لهم أن يعرفوا من أمرها شيئاً ، وليس لها مداولات في أنفسهم ، ولا في عقولهم ، فلا يجوز أن نُفيض في هذه النواحي ، لأننا لن نصل فيها إلى شيء سوى الجدل (2).

تنزيل الشيخ حسن البنا للنظرة القرآنية المستخلصة من الدرس الموضوعي على الواقع ، والمقارنة بين نظرية القرآن المعصومة والخالدة ، وبين نظريات البشر التي تُخْطيء وتصيب .

فبعد حديثه –رحمه الله– عن الكون غير المنظور في القرآن " ، وذكر النظرية العامة للقرآن حوله قال مقارناً بينها وبين النظرة المادية حول الموضوع :

" والقرآن قد تناول هذه الأمور الخاصة بالعالم غير المنظور ، فما موقف العالم المادي منها ؟ الواقع أنه قد جاء زمان على الناس فر قرون قد مضت أنكروها إنكاراً تاماً أنكروا الروح والملائكة والجن والملأ الأعلى ، وكانوا يصورون الحياة وكأنها الآلة الميكانيكية ، ويصورون الأكل وكأنه الوقود والدم والبخار ، وكانوا يقولون : إن هي إلا أرحام تدفع ،وأرض تبلع ، وما يُهْلكُنا إلا الدهر : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (3).

وقد كثر هذا الجدل في أوربا في القرن الثامن عشر ، في بداية الثورة الصناعية وما صحبها من أفكار مادية ، ولكن المذهب قد ضعُف وتلاشى ؛ لأنه باطل ، فلم يدم طويلاً ، وسرعان ما فكروا هناك فوجدوا أنهم أمام مظاهر جديدة ليست من مظاهر المادة في شيء وكان من نتائج بحوثهم الكثيرة أن أفاقوا وبدؤوا يتكلمون عن مظاهر غير مادية ففي جامعة برمنجهام ،و في شهر يوليو سنة 1927م تقررت دراسة المباحث النفسية كعلم أساسي من علوم الجامعة ، وبدؤوا يقولون : صحيح أن العالم ينقسم قسمين : العالم المنظور والعالم غير المنظور ، وإذا استطعنا أن نتقدم في مجال العالم المنظور ، ونستخدم كثيراً من قواه ، فإنه لا يزال أمامنا مجهودات شقة غير أننا نعترف بأن هناك عالماً آخر غير منظور ، ونعترف بأننا وصلنا إلى أوله ، وبدأنا نخطو نحو إدراكه بعض الخطوات ، ولكن لا نتصور أنهم سوف يكشفون كل

---

[1] الطبقات لابن سعد: 4/ 288.

[2] حديث الثلاثاء : ص45 .

[3] سورة الجاثية24

شيء ، فسرعان ما يتضح لهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(1).

فكتابنا الكريم قد أراحنا من عناء الوهم والشك والضلال ، فجاء عن العالم غير المنظور بخلاصة وافية ، جاء بما ينفعنا ، وسكت عمَّا لا فائدة لنا فيه "(2).

فالنظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من الموضوع : أن سنة القرآن : عرض ما فيه منفعة للبشر ، والإعراض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به .كما قال الإمام الشاطبي:" رأينا الشارع يُعْرِض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به"(3).

رابعاً : الأستاذ سيد قطب(4) وتنزيله الآيات على الواقع :

قال –رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾(5).

" والذين يفسدون أشنع الفساد ، ويقولون : إنهم يصلحون ، كثيرون جداً في كل زمان ، يقولونها ؛ لأن الموازين مختلة في أيديهم ، وإذا اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم ، والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم ؛ لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية " (6).

فالنظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من الآيات : أن اختلال ميزان الإخلاص والتجرد في النفس يؤدي إلى اختلال سائر الموازين والقيم .

وقال – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (7).

:" هذا الذي يتناقض ظاهره وباطنه ويتنافر مظهره ومخبره ، هذا الذي يتقن الكذب والتمويه والدهان حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء وانكشف المستور وفضح بما فيه من

---

[1] سورة فصلت53

[2] حديث الثلاثاء : ص45 ،46.

[3] الموافقات ص:28

[4] هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية موشا، إحدى قري محافظة أسيوط في صعيد مصر، وكانت ولادته عام 1906م، تخرج في دار العلوم من القاهرة عام 1933م، وفي بداية شبابه كانت اهتماماته أدبية نقدية، ونظراته فلسفية عميقة وله مقالات انتقادية حادة، وكان تلميذاً أدبياً للعقاد، درس القرآن دراسة أدبية وخرج بكتابه (التصوير الفني في القرآن) وانتظم للإخوان المسلمين بمصر بعد وفاة مؤسسها، وأعدمه جمال عبد الناصر في مساء يوم الأحد 1966/8/28م لكونه من الساعين لتحكيم شرع الله وترك خلفه مؤلفات ،من أشهرها ظلال القرآن، انظر ترجمته (سيد قطب الشهيد الحي لصلاح الخالدي: 51: مجلة المسلمون عدد 11 تاريخ 13 ربيع الأول 1402هـ، وموافق 1982/1/18م ص 12).

[5] سورة البقرة ، آية (11-12).

[6] في ظلال القرآن ،(ج 1 / 38).

[7] سورة البقرة ،آية(205)

حقيقة الشر والبغي والحقد والفساد ، وإذا انصرف إلى العمل كانت وجهته الشر والفساد في قسوة وجفوة و لدد (1) تتمثل في إهلاك كل حي من الحرث الذي هو موضع الزرع والإنبات والأثمار، ومن النسل الذي هو امتداد الحياة بالأنسال وإهلاك الحياة على هذا النحو كناية عما يعتمل في كيان هذا المخلوق النكد من الحقد والشر والغدر والفساد مما كان يستره بذلاقة اللسان ونعومة الدهان والتظاهر بالخير والبر والسماحة والصلاح "**والله لا يحب الفساد** " ولا يحب المفسدين الذين ينشئون في الأرض الفساد والله لا تخفى عليه حقيقة هذا الصنف من الناس ; ولا يجوز عليه الدهان والطلاء الذي قد يجوز على الناس في الحياة الدنيا فلا يعجبه من هذا الصنف النكد ما يعجب الناس الذين تخدعهم الظواهر وتخفى عليهم السرائر .

إن هذا النموذج تراه حياً يتحرك ، تقول في غير تردد هذا هو ، هذا هو الذي عناه القرآن ، وأنت تراه أمامك ماثلاً في الأرض الآن وفي كل آن(2).

فالنظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من الآيات : أن النفاق أصل كل فساد .

خامساً : الشيخ ابن عثيمين(3) –رحمه الله – وتنزيله الآيات على الواقع :

1. عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(4) . ذكرَ مِن فوائدها " :حِرْصُ المشركينَ على ارتدادِ المؤمنينَ بِكُلِّ وسيلةٍ ولو أَدَّى ذلكَ إلى القتالِ؛ لقوله – : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾؛ ولهذا كانَ الغَزْو الفِكْرِيُّ، والغَزْو الأَخْلاقِيُّ أعظمَ مِن الغَزْوِ السِّلاحِيِّ؛ لأنّ هذا يدخلُ على الأُمَّةِ مِن حيثُ لا تَشْعُر؛ وأمّا ذاكَ فَصِدَامٌ مُسَلَّحٌ يَنْفِرُ الناسُ مِنهُ بالطبيعةِ؛ فلا يُمَكِّنُونَ أحداً أنْ يُقَاتِلَهُم؛ أمّا هذا فَسِلاحٌ فَتَّاكٌ يَقْتِكُ بالأُمَّةِ مِن حيثُ لا تَشْعُر؛ فانظر كيفَ أفسدَ الغَزْو الفِكْرِيُّ والخُلُقِيُّ على الأمةِ الإسلاميةِ أمورَ دِينهَا، ودُنيَاهَا؛ ومَن تَأَمَّلَ التاريخَ تبينُ لهُ حقيقةُ الحال(5) ."

---

[1] الأَلَدُّ الخَصِمُ الجَدِلُ الشَّحِيحُ الذي لا يَزِيغُ إِلى الحق.(لسان العرب ،ج3/ 390).

[2] في ظلال القرآن،(ج1 – 198 /199). باختصار .

[3] هو الشيخ العالم المحقق, الفقيه المفسّر, الورع الزاهد، محمد ابن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل آل عثيمين من الوهبة من بني تميم، ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1347هـ في عنيزة – إحدى مدن القصيم – في المملكة العربية السعودية ، حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، له جهوده المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله ، تُوفي – رحمه الله – في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام 1421هـ, وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس(انظر موقع الشيخ على الانترنت www.ibnothaimeen.com).

[4] البقرة: من الآية217

[5] تفسير الشيخ ابن عثيمين : تفسير سورة البقرة (3 / 60).

فالنظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من الآيات: أن غزو الأفكار أعظم من غزو السلاح.

2. وعند تفسيره لقوله – تعالى :- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ (1) **ذكرَ مِن فوائدها "** :أنّ بني إسرائيلَ لا يقومونَ للمسلمينَ لو حَاربُوهم مِن قِبَلِ الإسلامِ؛ لأنّ ضَرْبَ الذّلّةِ بسببِ المعصيةِ؛ فإذا حُورِبُوا بالطاعــةِ والإسلامِ فلا شَكَّ أنّه سيكونُ الوَبَالُ عليهم؛ قد قالَ الله - تعالى :﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ (2). **وما يُشَاهــد اليومَ مِن مُقاتلةِ اليهودِ للعَرَبِ فإنما ذلكَ لسببين :**

الأول :قِلّةُ الإخلاصِ لله – تعالى- ؛ فإنّ كثيراً مِن الذينَ يُقاتِلُونَ اليهودَ – أو أكثرهم – لا يُقاتِلُونَهم بِاسْمِ الإسلامِ، وأنْ تكونَ كلمةُ الله هي العليا؛وإنّما يُقاتِلُونَهم بِاسْمِ العروبةِ؛ فهو قِتالٌ عَصَبِيٌّ قَبَلِيٌّ؛ ولذلكَ لم يُفلح العَرَبُ في مُواجهةِ اليهودِ.

والسببُ الثاني : كَثْرَةُ المعاصي مِن كَبيرةٍ، وصَغيرةٍ؛ حتّى إنّ بعضها ليُؤَدّي إلى الكُفْرِ؛ وقد حَصَلَ للمسلمينَ في أُحُدٍ ما حَصَلَ بمعصيةٍ واحدةٍ مَعْ مَا انْضَمَّ إليها مِن التنازعِ والفشلِ كما قال الله – تعالى –: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ (3).

فالنظرية القرآنية والقانون الأساسي المستنبط من الآية : أن معاصي المسلمين سبب ذلتهم وضعفهم .

---

[1] البقرة: من الآية61

[2] الحشر: من الآية14

[3] سورة آل عمران: من الآية152. انظر تفسير الشيخ ابن عثيمين تفسير سورة البقرة (1 / 219)

وبعدُ : فهذا ما منَّ الله به علينا في هذا الموضوع المهمِّ الذي ينبغي أن يعتني به كلُّ باحثٍ ودارسٍ في التفسير الموضوعي ، من أجلِ النهوضِ بِأُمَّتِنَا والخروجِ بها مِنْ كبوتها والإبحار بها إلى شاطئ الأمان ، والتحليق بها في أجواء العزة وآفاق الفضيلة ، وأن نحسنَ التعامل مع كنوزِ القرآن ونذكِّرَ به كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾ (1).

واقترح :

1 - **هيئة عالمية للتفسير الموضوعي** تضم كل مهتم به في تخصصه(المفسر– المربي –المصلح – باحث الإعجاز العلمي بأنواعه– الاجتماعي – السياسي – الاقتصادي...) ، لتلاقح الأفكار والاتفاق على منهجية علمية واقعية في التأصيل والتطبيق العملي ، حتى تتحول جهود العلماء من رؤى شخصية ، ومنهجية مُبعثرة ، إلى منهجية جماعية متفق عليها ، **ويد الله مع الجماعة** .

2 - **مجلة علمية مُحَكَّمَة تُعنى بالتفسير الموضوعي .**

3 - عمل موسوعة التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

ويعتبر هذا المؤتمر المبارك الانطلاقة الأولى لهذه المقترحات ، ونسأل الله أن تشرق هذه المقترحات من مؤتمر الشارقة .

---

[1] سورة مريم ،(97)

المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً: المراجع:

1 -	اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر ، د.محمد إبراهيم شريف ،ط1 ،دار التراث ، القاهرة 1402هـ – 1982م.
2 -	أضواء البيان ، في إيضاح القرآن بالقرآن : الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، 1403هـ – 1983م .
3 -	الأعلام : خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط : السابعة 1986 م .
4 -	الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للحافظ عمر بن علي البزار ، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، 1423–2002م .
5 -	إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل – بيروت ، 1973م.
6 -	إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن القيم ، تحقيق وتصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
7 -	البداية في التفسير الموضوعي ،د.عبد الحي الفرماوي ، ط2، القاهرة ،1977م.
8 -	البداية والنهاية للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ت 774هـ ط مكتبة المعارف 1401 هـ
9 -	بدع التفاسير للشيخ عبد الله محمد الصديق الغماري ط مكتبة القاهرة 1385هـ .
10 -	التحرير والتنوير ، محمد ابن الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ط : "بدون "1984م.
11 -	تفسير البغوي ، المسمى " معالم التنزيل : ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ،تحقيق خالد عبد الرحمن العك ،و مروان سوار ، دار المعرفة – بيروت .
12 -	تفسير الخازن المسمى(لباب التأويل في معاني التنزيل) : أبو الحسن علي بن محمد الخازن، دار الفكر – بيروت / لبنان- 1399 هـ /1979 م.

13 -	تفسير الطبري ، المسمى" جامع البيان في تأويل القرآن" ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، ط : الأولى ،1412هـ– 1992م.
14 -	تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار للسيد محمد شيد رضا ط دار المنار بالقاهرة سنة 1372 هـ سنة 1953 م ط ثانية 0
15 -	تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ت 774 هـ ط دار التراث العربي بدون تاريخ 0
16 -	تفسير القرآن الكريم،الشيخ محمد بن صالح عثيمين ، دار ابن الجوزي.
17 -	التفسير القيم، ابن القيم ، تحقيق حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398هـ.
18 -	تفسير المنار، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، ط : الثانية ، بيروت – لبنان .
19 -	التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ،د.صلاح الخالدي ، ط 1، دار النفائس ،الأردن ،1418هـ– 1997 م.
20 -	التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية ،باقر الصدر ، ط 1، الدار العالمية للطباعة ،بيروت .
21 -	التفسير الموضوعي في كفتي ميزان ، د.عبد الجليل عبد الرحيم ، ط 1، عمان ،1992م.
22 -	تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن بقلم السيد محمد رشيد رضا ط1 مطبعة المنار 1353 هـ مصر .
23 -	التفسير والمفسرون للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.
24 -	تهذيب التهذيب ، ابن حجر أحمد العسقلاني ، دائرة المعارف النظامية بالهند ، ط : الأولى (1325 هـ).
25 -	جامع العلم و فضله لابن عبد البر : دار الكتب العلمية – بيروت ، 1398هـ.
26 -	حديث الثلاثاء ،حسن البنا ، أحمد عبد المعطي حجازي ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1408هـ– 1988م.

27 -	حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني ، إعداد : صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ،1419هـ
28 -	الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية ، 2001م .
29 -	روضة الناظر مع شرحها: ابن قدامة المقدسي ، تحقيق د.عبد العزيز عبد الرحمن السعيد ،جامعة الإمام ابن محمد بن سعود ،الرياض ، 1399هـ.
30 -	سنن ابن ماجه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، المكتبة العلمية بيروت – لبنان ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
31 -	سنن أبي داود : الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجتاني الأزدي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ.
32 -	سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى ، مصطفى الحلبي ، تحقيق : أحمد شاكر ، ط : الثانية 1398هـ–1978م
33 -	سيد قطب الشهيد الحي ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط1، مكتبة الأقصى ، 1981م.
34 -	صحيح ابن حبان ، الحافظ محمد بن حبان بن احمد بن حبان ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الأمير : علاء الدين الفارسي ، ط : الأولى 1407هـ–1987م
35 -	صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب الحديثة ، عيسى الحلبي ، "بدون تاريخ".
36 -	صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني ، ط : الثالثة ، 1408هـ=1988م ، المكتب الإسلامي ، بيروت،لبنان .
37 -	صرحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .
38 -	الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، دار صادر – بيروت، 1405 هـ– 1985م.
39 -	الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : مطبعة المدني – القاهرة، تحقيق : د. محمد جميل غازي.

40 -	فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، تصحيح وتعقيب عبد العزيز بن باز ، دار الفكر ، 1411هـ– 1990م.
41 -	فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي محمد الشوكاني، دار الخير، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1412هـ/ 1991م.
42 -	في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار العلم للطباعة و النشر ، جدة – السعودية ، ط : الثانية عشرة ، 1406هـ– 1986م.
43 -	لسان العرب ، ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت– لبنان ، ط : الأولى1300هـ.
44 -	مباحث في التفسير الموضوعي د.مصطفى مسلم محمد ،ط 1، دار القلم ، دمشق ، 1410هـ–1989م.
45 -	مبادئ أساسية لفهم القرآن ، أبو الأعلى المودودي ، ترجمة خليل أحمد الحامدي ،جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع طبعة 1987م.
46 -	مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ط الرياض .
47 -	مجموعة رسائل الشيخ حسن البنا ، دار الدعوة ، الإسكندرية – مصر ، ط : الأولى 1411هـ–1990م.
48 -	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1392هـ.
49 -	المدخل إلى التفسير الموضوعي ،د.عبد الستار فتح الله سعيد، ط 1، دار الطباعة والنشر ، القاهرة.
50 -	مسند الإمام أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ ، ط دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر 1957 م ، وطبعة مؤسسة قرطبة القاهرة بتعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط .
51 -	معجم مقاييس اللغة أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : تحقيق : عبد السلام هارون ، ط : الثانية ، 1996م
52 -	مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق عدنان داوودي ، دار القلم – دمشق ،الطبعة الثالثة ،1423هـ2002م.

53 -	مفهوم تجديد الدين : بسطامي محمد سعيد ، دار الدعوة ، الكويت ،ط1، 1405هـ= 1984م .
54 -	منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، د.زياد الدغامين ،ط1، دار البشر ،1995م، عمان .
55 -	الموافقات للإمام الشاطبي ط دار ابن عفان بالسعودية الطبعة الأولى 1417 هـ
56 -	نظرات في القرآن ، الشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، ط3، بدون تاريخ.